تغير السوق
دراسة انثروبولوجية لأسواق الموصل

م. حارث علي العبيدي *

تاريخ استلام البحث ٢٠١٢/٤/٤

تاريخ قبول النشر ٢٠١٢/٦/١٨

ملخص البحث :

إن لكل مجتمع **ثقافة** معينة ترسم صورة الحياة الاجتماعية فيه. ومن سماتها الاستمرار والانتشار والتغير. أي أنها لا تبقى ثابتة زمانيا أو مكانيا، سواء في جانبها المادي أم المعنوي، وهذا يحدث بفعل عدة عوامل، منها بيئية واقتصادية ودينية وسياسية. ونرى ذلك في اختلاف أنساق البناء الاجتماعي للمجتمع وتنوعها وتطورها وتغيرها، والتي تسعى إلى تحقيق أهداف الأفراد وإشباع حاجاتهم وميولهم ورغباتهم المختلفة والمتعددة. وان أي ضعف في أداء احد هذه الأنساق لوظيفته يؤثر في نشاط بقية الأنساق سلبا أم إيجابا. وإن السوق يمكن أن يعد وحدة اقتصادية تدخل ضمن النسق الاقتصادي في البناء الاجتماعي للمجتمع، وعليه فإن أي تغير يطرأ عليه سيؤثر على الوحدات الأخرى في المدينة، ومن ثم التأثير بشكل واضح في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. ارتأى الباحث القيام بهذه الدراسة للوقوف على أهم الأجزاء المتغيرة في السوق، ومعرفة أسباب هذا التغير، مع إبراز أهم انعكاساته وآثاره. وتوصل البحث إلى عدد من النتائج أهمها، أن مدينة الموصل تضم العديد من الأسواق المختلفة والمتنوعة، وإن سوقها يشهد نقلات وتحولات سواء في بنائه أم وظيفته.

* مدرس/ قسم علم الاجتماع / كلية الآداب / جامعة الموصل.

Changing Market"
Anthropological study of the market of mosul

The culture of the community paint of social life in it. The characteristics of change, that is, they do not remain static or temporally spatially, both in part to physical or mental. We see that the performance of different formats in the social structure of society, which seeks to achieve the objectives of individuals and satisfy their needs. And tarry in the performance of any one of these formats will affect the activity of the other. And the market could be considered an economic unit within the economic pattern in the social structure, and therefore any change affecting it will affect other units in the city. The objective of this research to identify the most important parts of the Changing Market, highlighting the most important implications and consequences. And arrive at the results at the most important, that the city of mosul. Including a variety of markets, although its market witnessing change in both its construction or function.

المقدمة:

ارتأى الباحث القيام بهذه الدراسة للوقوف على أهم الأجزاء المتغيرة في السوق ، ومعرفة أسباب هذا التغير، مع إبراز أهم انعكاساته وآثـــاره، واعتمـــد الباحث على نظرية البنيوية الوظيفية مدخلا نظريا للبحث ، والمزاوجـــة بـــين منظوري علم الاجتماع والانثروبولوجيا ضمن الاتجاه الـــسوسيوانثروبولوجي. وكانت وسائل جمع المعلومات الملاحظـــة البـــسيطة والملاحظـــة بالمـــشاركة بوصف الباحث جزء من المجتمع المدروس. وتضمنت الدراسة أربعة مباحـــث فضلا عن المقدمة والخاتمة.

المبحث الأول / الإطار المنهجي للدراسة

أولا : تحديد مشكلة الدراسة

إن لكل مجتمع ثقافة معينة ترسم صورة الحياة الاجتماعية فيه. ومن سماتها الاستمرار

والانتشار والتغير. أي أنها لا تبقى ثابتة زمانيا ومكانيا سواء في جانبها المادي أم المعنوي،

وهذا يحدث بفعل عدة عوامل، منها بيئية واقتصادية ودينية وسياسية. ونرى ذلك في اختلاف

أنساق البناء الاجتماعي للمجتمع وتنوعها وتطورها وتغيرها، والتي تسعى إلى تحقيق أهداف الأفراد وإشباع حاجاتهم وميولهم ورغباتهم المختلفة والمتعددة. وان أي تلكأ في أداء احد هذه الأنساق لوظيفته يؤثر في نشاط بقية الأنساق سلبا أم إيجابا.

إن السوق يمكن أن يعد وحدة اقتصادية تدخل ضمن النسق الاقتصادي في البناء الاجتماعي للمجتمع، وعليه فإن أي تغير يطرأ عليه سيؤثر على الوحدات الأخرى في المدينة. وهذا يجعله يلعب دورا مهما في استقرار المجتمع، لما يقدمه من وظائف على مستوى الأفراد والجماعات. وبهذا تتمحور **مشكلة البحث** في التساؤلات..ما طبيعة الأسواق؟ ما وظيفتها ؟ ما الذي يتغير فيها ؟ أي من جانبيه يتغير أسرع من الآخر؟ما انعكاسات تغيره على المجتمع؟

ثانيا : أهمية الدراسة

إن أهمية الدراسة تكمن بأنها قد تكون محاولة لجمع معلومات مستمدة من الواقع الاجتماعي والثقافي للمجتمع ، وما يتخلله من حالات تغير وتجديد وإضافة وحذف واقتباس للعناصر الثقافية المادية والمعنوية ، وذلك بالاعتماد على المنهجية العلمية والأكاديمية للإفادة منها في الدراسات الاجتماعية والانثروبولوجية اللاحقة. وكذلك يمكن أن تسلط الضوء على واقع السوق وفي صورته الحقيقية في الحياة الاجتماعية اليومية في المجتمع ، وانعكاسات التغير في جانبيه المادي والوظيفي على مستوى الفرد والمدينة، وما تمثله من تحديات اجتماعية وبيئية واقتصادية وعمرانية تتجلى في الغزو العمراني واجتياح الكتل الكونكريتية لمعالم المدينة والتي تهدف إلى مسح وطمس الأصالة والتراث. وقد بدأت تغير وتؤثر في البنية القيمية والأخلاقية من علاقات وعادات وسلوكيات داخل المجتمع. وبالتالي يمكن الإفادة من البحث عند وضع الخطط العمرانية والأخذ بنظر الاعتبار العامل النفسي والاجتماعي والثقافي للأفراد داخل

المجتمع، لاسيما بعد ازدياد ظاهرة سوء استخدام المكان وتغليب الربحية الفردية على المصلحة العامة للمجتمع.

ثالثا : أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى الوقوف على واقع السوق بنائيا ووظيفيا، فضلا عن معرفة الجوانب المتغيرة في السوق سواءً في طرازها العمراني أم دورها الوظيفي.

رابعا : منهج الدراسة

اعتمد الباحث الاتجاه السوسيوانثروبولوجي من خلال المزاوجة بين منظوري علم الاجتماع والانثروبولوجيا. في حين اعتمد على النظرية البنيوية الوظيفية مدخلا نظريا ومنطلقا فكريا للدراسة. أما وسائل جمع المعلومات فكانت المقابلة والملاحظة البسيطة، فضلا عن الملاحظة بالمشاركة بوصف الباحث جزء من المجتمع المدروس.

خامسا : تحديد المصطلحات العلمية

التغير..change

سنركز على اشمل مفهوم للتغير وهو التغير الثقافي **cultural change** لأنه لا يقتصر على جزء معين من مكونات الثقافة . ويعرف على انه كل تغير يحدث في الجوانب المادية وغير المادية للثقافة ، بما في ذلك العلوم والفنون والفلسفة والتكنولوجيا والأذواق الخاصة بالمأكل والمشرب واللغة ، فضلا عن إلى التغيرات التي تحدث في بنيان المجتمع ووظائفه[١]. ويعرف إجرائيا بأنه التغير الشامل للعناصر الثقافية المادية والمعنوية في المجتمع.

السوق..

ويعرف على انه مكان البيع والشراء، وفي لغة الاقتصاد، انه الحيز الذي ينتشر فيه بائعو ومشترو السلعة انتشارا لا يمنعهم من الاتصال بعضهم ببعض اتصالا تاما[٢]. أما تعريفه الإجرائي فهو المكان الذي يرتاده الناس لغرض بيع وشراء السلع المختلفة والمتنوعة، سواء كان هذا المكان فضاءً أم محلا تجاريا أم شارعا.

المبحث الثاني / تغير السوق

أولا: التغير change

ماهيته..

من الملامح الرئيسة للمدن أنها ذات طابع تجاري[٣]. وهو ما يجعلها تواجه تيار التغير بمختلف أشكاله بسبب الحركة والنشاط المستمر فيها وعلى جميع الجوانب.

يقول هيرقليطس **Heraclites** إن التغير قانون الوجود وان الاستقرار موت وعدم[٤]. ولا توجد ثقافة من الثقافات غير خاضعة لظاهرة التغير[٥]. وبما أن حدود المجتمع وأنماط السلوك في الحياة الاجتماعية تؤثر في ثبات واستقرار البناء الاجتماعي سواءً في الديناميك أو الاستاتيك[٦]. فإن المجتمع لا يبقى جامدا بل هو في حالة تبدل وتحول مستمر،من نمط إلى آخر، ولا يقتصر التغير على جزء معين من ثقافته، بل يشمل معظم أجزائه المادية والمعنوية. ويمكن أن ينبع التغير الثقافي من داخل المجتمع عن طريق الاختراع والاكتشاف، وقد يأتي من الخارج عن طريق انتشار السمات الثقافية الجديدة من ثقافات أخرى قريبة أو بعيدة[٧]. وكلما كان المجتمع مفتوحا، أي على اتصال بغيره ازدادت سرعة التغير فيه[٨]. ولا جدال إذن أن يحدث التغير بفعل عوامل خارجية وأخرى داخلية، منها ما يتعلق بالظواهر التي تحدث داخل المجتمع، وغيرها من التي تأتي من خارجه عن طريق الانتشار والتقليد والاقتباس الثقافي **cultural borrowing**.

إن مواجهة التغير من قبل الأفراد يختلف ما بين العناصر الثقافية المادية والمعنوية. فإن أفراد المجتمع اقل مقاومة للتغير في عناصره المادية وأكثر قبولاً وإقبالاً عليها[٩]. وأنهم عادة لا يتقبلون التغير وترك القديم إلا إذا ظهرت لهم منافع ومحاسن الجديد وامتيازه وتفوقه على القديم[١٠]. ويمكن أن يعود السبب إلى تأثير القيم والعادات والتقاليد في الحياة الاجتماعية في المجتمع، وان العرف أحيانا يفوق القانون الرسمي في قوة تأثيره على سلوكيات الناس. ويمكن أن يشكل هذا إضافة حضارية **culture deposit** تضاف إلى أساس الحضارة، وتشمل كل الاستعارات الحضارية التي تتحقق عن طريق الانتشار **diffusion**[١١].

أنواعه ..

يقسم إلى قسمين أساسيين، التغير الكمي **quantitative changes**، والتغير النوعي **qualitative changes** [12].

أما التغير الكمي فيشمل التحول المتنامي في عدد الأفراد وتنوع حاجاتهم وتباين مصالحهم واختلاف ميولهم بغض النظر عن نوعيتها وأهدافها. في حين أن التغير النوعي هو نقلة في مستوى التفاعل والعلاقات الاجتماعية وفي نوع المعايير التي يحملونها متمشية مع روح العصر الذي يعيشون فيه، وتخضع للتبدلات المستمرة حسب تحولات أهداف الناس التي تراعي مشاعر الإنسان وتطلعاته في التعبير عن ذاته من اجل ارتقاء قدراته وإنماء طاقاته الشخصية بغض النظر عن كمها وحجمها. ويعبر التغير الكمي عن الجانب المعدود في انساق ومؤسسات المجتمع من عدد السكان والأدوات والتقنيات وعدد المدارس والمستشفيات ووسائط النقل ووسائل الاتصال وغيرها. بينما يشمل التغير النوعي نوع التفاعل الاجتماعي ونمط العلاقات الاجتماعية وطبيعة المعايير الاجتماعية، ومدى توافقها مع التقدم والتطور الحاصل في الحياة الاجتماعية اليومية وإلا فإنها تتخلف عنه. والتغير بنوعيه يهدف في الغالب إلى الارتقاء بالمستوى المعيشي على مستوى الفرد والمجتمع.

ثانيا: السوق market

ماهيته ..

إن السوق في بداية نشأة المدن الإسلامية كان يعرف على انه فضاء واسع لا بناء فيه يضع فيه التجار حوائجهم، والمكان لمن سبق[١٣]. وقد يكون هذا الحيز قرية أو حيا أو مدينة و قطرا أو إقليما، كما يشمل الدنيا جميعا[١٤]. وبتقدم طرق المواصلات صار من الميسور أن يتصل مشترون في طرف من أطراف الأرض ببائع من الطرف الآخر، وبهذا صارت أسواق عديدة من السلع كالقطن والسكر أسواقا عالمية[١٥]. وفي المدن الإسلامية توزعت الأسواق في نوعيات متعددة نظمت تنظيما يحقق الفائدة ويمنع الضرر، ويسهل حركة المرور في الأسواق ونظافة شوارعها ومباشرة الحركة فيها وإحكام هذه الحركة في إطار القيم والمبادئ السلامية[١٦]. وذلك في حدود **المنافسة competition**، بمعنى حين تزاوجت أصول الأفكار الاجتماعية والبيولوجية حول مدلولها، وقد فهم في المدينة على انه الصراع بين الأفراد للحصول على مواقع متميزة فوق الرقعة الجغرافية الواحدة[١٧].

إن التخصص في السوق في العراق قد بدأ منذ العصر العباسي. وكان المنصور عند إنشاء منطقة الكرخ في بغداد طلب قطعة قماش ورسم السوق

عليها وحدد لكل أهل التجارة مكانا لهم يختصون فيه بتجارتهم وأمر أن لا تتاجر فيه من الفئة الأخرى، كما فصل أهل التجارات والحرف، فخصص لكل حرفة مكانا خاصا به، وأنشأت أسواق سامراء بالأسلوب نفسه[١٨].

أنواعه..

تقسم الأسواق على أسس ومعايير مختلفة باختلاف السلع وحجم السوق وطرازه العمراني والفترة الزمنية المستغرقة في البيع.

إن السوق يقسم من حيث استمراره واتساعه وأنواع وكمية سلعه[١٩]. وفي الإطار الزمني وجدت الأسواق السنوية الموسمية كتلك التي كانت للعرب قبل الإسلام، والأسبوعية كسوق الأحد في دمشق وسوق الاثنين في مكناس وسوق الثلاثاء في بغداد وسوق الأربعاء في الموصل وسوق الخميس في فاس ومراكش[٢٠]. وكذلك تشكل الأسواق مراكز اتصال **communication-center** على المستوى الاقتصادي والسياسي والفكري[٢١].

المبحث الثالث / التجارة في الموصل

أولا : مدينة الموصل..مركزا تجاريا

الموصل، اسم أطلقه عليها سكانها العرب الذين استوطنوها، فهو مشتق من الوصل لأنها تقع على ملتقى عدة طرق تصل بين الشرق والغرب، وتلتقي فيها طرق التجارة[٢٢]. ولموقعها التجاري على طرق المواصلات وإحاطتها بكثير من المدن الصغيرة (القصبات) أصبحت عاصمة لإقليم الجزيرة وافرد لها ديوان خاص، وتضاعف حاصلها وازداد عمرانها[٢٣]. ووصفت قديما أنها محط الركبان ومنها يقصد إلى جميع البلدان، فهي باب العراق ومفتاح خراسان ومنها يقصد إلى اذربيجان[٢٤].

وكانت الموصل من المراكز التجارية في العالم الإسلامي، ويقول عنها ياقوت(ما عدم شئ في بلد من البلاد إلا ووجد في الموصل، فيها عشرات الخانات والفنادق والحمامات والقيسريات والساحات، وهذه الأسواق كانت حول الجامع النوري)[٢٥]. وفي عهد الدولة الاتابيكية (٥٢١-٦٦٠هجرية) صارت الموصل إحدى مدن الدنيا العظام بعمارتها واقتصادها، حتى ضاقت بالسكان فخرجوا إلى الارباض المحيطة بها، وكان بعض هذه الارباض كالمدينة، فالربض الأسفل فيه الأسواق والقيسريات والخانات والمساجد والحمامات[٢٦].

كانت ترد الموصل قوافل محملة ببضائع الهند وإيران والصين وبلاد الشام إلى أسواقها مضافة إلى ما تنتجه من حاصلات كالحبوب والعسل والجبن والشحوم والسماق وغيرها[٢٧].ويدل هذا أنها كانت مدينة منتجة ومستهلكة، كانت تستورد وتصدر المنتجات والسلع والبضائع المتنوعة والمختلفة.

ثانيا : سوق الموصل..التسميات

إن الأسواق في الموصل كثيرة ومتنوعة، واختلفت تسمياتها تبعا لعدة معايير، منها الموقع والمهنة والسلعة. فمن حيث الموقع سوق باب الجسر والميدان والسوق الكبير وسوق الكب[٢٨]. أما المهنة فهناك سوق السراجين والعطارين والصفارين[٢٩]. والنجارين والبزازين والقتابين*والقصابين والسرجخانة والشعارين[٣٠]. ومن سوق السلع سوق البيض وسوق الملاحين واليمنجية والدواب[٣١]. وكانت معظم الأسواق تقع في قلب المدينة حول المسجد الجامع بالقرب منه لتشكل الأسواق القسم التجاري من المدينة[٣٢].

ثالثا : شكل السوق

اتخذت الأسواق والمنشات التجارية في المدينة الإسلامية اتجاهين من ناحية التكوين المعماري، الأول تبلور بنائيا في العصر الأموي، وكان بناؤها عبارة عن مجموعة من الحوانيت تطل على ساحة مكشوفة في الوسط وظهرها إلى الخارج وتعلو هذه الحوانيت وحدات سكنية تؤجر لمن يرغب في السكنى[٣٣]. أما الثاني فشكل نمط الحوانيت المتراصة على جانبي الشارع الرئيسي والشوارع الفرعية المتسعة[٣٤]. وبنيت على المبدأ الإسلامي" لا ضرر ولا ضرار" [٣٥]. وعليه فإن شكل الأسواق في المدن الإسلامية متشابهة نسبيا. ولعل السبب في ذلك يعود إلى اعتبارات عدة، منها ترتيب السوق وعلاقته بحاجة السكان المتكررة والضرورية للحياة التي تتطلب وجود أسواق معينة في كل المناطق، فضلا عن تجنب الضرر، وهو ما جعل الأسواق التي تحدث الدخان والروائح الكريهة في أطراف المدينة، وهو ما أطلق عليها اسم "أسواق الشوارع" [٣٦].

يقول المقدسي " الموصل بلد كبير الاسم..قديم الرسم..حسن الأسواق والفنادق" [٣٧]. ويصف ابن حوقل سوقها بقوله "كانت أسواقها واسعة وأحوالها من الشرف والفخم ظاهرة وكان بها لكل جنس من الأسواق الاثنين والأربعة، مما يؤكد في السوق المائة حانوت وزائد [٣٨].وان معظم أسواقها مغطاة[٣٩]. وأفضلها من حيث البناء والتصميم هو السوق الذي تباع فيه السلع الغالية مما يستورد التجار من أوربا والهند[٤٠].

من سمات سوق الموصل وجود الكثير من القيسريات المميزة بطرازها العمراني وكثرة دكاكينها. ويقول ابن جبير "في سوقه قيسرية للتجار كأنها الخان العظيم، تنغلق عليها أبواب حديد، وتطيف بها دكاكين وبيوت بعضها على بعض، قد تجلى ذلك في أعظم صورة من البناء المزخرف الذي لا مثيل له، فما أرى في البلاد قيسرية تعدلها[٤١].

رابعا : العوامل المؤثرة في نشاط سوق الموصل

إن أسواق الموصل كانت عامرة ويتجلى ذلك في كثرتها وتخصصها، ويدل على النشاط الاقتصادي للمدينة، وعلى مستوى معيشة الناس فيها، إلا أنها لم تستمر في نشاطها، فقد مرت بفترات ركود نتيجة الاضطرابات السياسية، وكانت في نهاية الدولة الأموية حيث دمرت هذه الأسواق(٤٢).وفي ولاية إسماعيل بن علي العباسي سنة ٧٥١م رأى المدينة وما عليه من الاختلال وسوء الأحوال، ففي سنة ٧٥٤م نقل أكثر أسواق الموصل إلى مقبرة أهل الموصل ونقل المقبرة إلى الصحراء، وابتنى مسجده الذي عرف فيما بعد "مسجد أبي حاضر" وسط الأسواق فتراجع الناس وصلح حال البلد(٤٣). وفي عام ٧٨٣م أمر المهدي العباسي عامله موسى بن مصعب بهدم الأسواق التي كانت تحف بالجامع ألنوري وهي سوق البزازين وسوق السراجين وسوق السقط وإضافتها إلى الجامع(٤٤). وزار الرحالة " **تافرييه** " الموصل في القرن ١٧ ووصف المدينة بأنها " تكاد تكون برمتها خربة، وليس فيها سوى سوق أو سوقين معقودين" (٤٥). وفي القرن العاشر للهجرة استولى العثمانيون على الموصل، فعادت التجارة ونشطت الزراعة والصناعة وصار فيها أسواق كثيرة تباع فيها مختلف الصناعات، وهذه الأسواق مجتمعة تمتد من باب الجسر إلى ظاهر ساحة باب الطوب*. أما أمين العمري فيذكر انه كان فيها في أواخر القرن ١٨، ٢٥٠٠ خان و١٠ قيسريات و٢٠ حماما عاما و١١٣ مجمعا للقهوة و١٦ معصرة و٤٠ مسلخا للذبح وبيع اللحم و٣٠٠ مدارا* (٤٦).

إن سوق الموصل تأثر بالظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والسكانية للمجتمع العراقي بصورة عامة وللمدينة بصورة خاصة. فمن الناحية السياسية نجد أن سلوكيات بعض الولاة والحكام قد تراوحت مابين معمر ومدمر للسوق. ولعب العامل الاقتصادي دورا في تغير السوق، وكلما ازدادت الحركة والنشاط التجاري ساعد في ارتفاع الدخل ومن ثم انعكس ذلك على استخدام الوسائل الحديثة في السوق سواء على مستوى تغيير طرازها العمراني أم استخدام التقنية الجديدة في البيع والشراء، مثل آلية المحاسبة والنقل والاتصال. أما الجانب الاجتماعي فيتعلق بالقيم والعادات والتقاليد الموصلية. من التقاليد المتبعة في الأسرة الموصلية، إذ أن الأولاد كانوا يزاولون المهنة التي يزاولها آباؤهم، فعندما كان يبلغ احدهم سن السابعة من عمره يذهب إلى محل أبيه ويتدرب على الأعمال أو المهنة التي يحترفها والده(٤٧). لكن بعد الغزو الثقافي والتقني للمدينة وارتفاع نسبة الحضرية فيها من طغيان النزعة الفردية وتقسيم العمل والتخصص الوظيفي وسيادة العلاقات الاجتماعية الثانوية، أدى ذلك إلى

ترك مهنة الآباء والاتجاه إلى مهن جديدة تتناسب والسمات الشخصية للفرد، وهذا انعكس على السوق بمتاجره الحديثة الطراز في الشكل والوظيفة.

أما ما يتعلق بالعامل الديموغرافي، فإن نمو السكان كمّاً ونوعاً جعل من الحاجات تزداد وتتنوع بسبب تعقد الحياة الاجتماعية في المدينة، وهو ما أدى إلى ظهور أسواق جديدة في مناطق جديدة لتلبية الاحتياجات اليومية المتزايدة للأفراد والمجتمع.

المبحث الرابع / تغير سوق الموصل

تمهيد..

إن الموصل من المدن التي تؤدي عدة وظائف منها، الصناعية والزراعية والدينية والتجارية.وتعد الوظيفة التجارية لأية مدينة بغض النظر عن حجم المدينة وموقعها ضرورية جدا لتلبية حاجات ساكنيها من السلع وضروريات الحياة الأخرى(٤٨).وبما أن هذه الحاجات تتغير بفعل عدة عوامل منها، المؤثرات البيئية والظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ودخول التقنيات إلى مفاصل مهمة في المجتمع، مما أثر في تغير نظم المجتمع، كي تتوافق مع الحاجات الجديدة، وهذا ما خلق أسواقاً جديدة في مناطق جديدة في المدينة. وبالتالي تغير السوق شكلا ووظيفة.

من خلال نظرة متفحصة لواقع السوق الموصلي نجد الكثير من الإضافات والتغيرات التي أدخلت إليه. وللوقوف على مظاهره سنقوم بعرض بعضها من خلال تقسيم السوق إلى قسمين، هما السوق القديم والسوق الجديد لاعتبارات القدم الزمني من حيث النشأة.

أولا : السوق القديم..

في بداية نشأته كان موقعه في **باب الجسر القديم (الحديدي)** من جهة الكورنيش، وكان يشكل المركز في استقبال البضائع القادمة من مختلف الجهات، ومنه تتوزع إلى الأسواق الأخرى في الداخل والى الإقليم المحيط في الخارج. وتتوزع الأسواق الفرعية حوله أو بالقرب منه وبتخصصاتها المختلفة. أما الآن فإن المنطقة التجارية الرئيسية فهي **سوق باب السراي**، ويقع في الجانب الأيمن من المدينة وهو محصور بين سوق شارع غازي الذي يختص ببيع الأجهزة الكهربائية والمنزلية غرباً، وسوق الكورنيش المتخصص ببيع المواد الغذائية بالجملة شرقا، وسوق السمك الذي ازداد عدد دكاكينه وحدث بناؤه شمالا، وسوق باب الطوب المتميز بانتشار كبير للباعة المتجولين وعرض البضائع على الأرصفة وجانبي الشوارع فيه جنوبا. ويعد من أهم الأسواق لكثرة متاجره ونوع السلع فيه، فضلا عن انه يمثل سوق الجملة الرئيسي في

المدينة. إن هذا السوق يضم العديد من الأزقة السوقية والقيسريات، ومنها سوق الأوراق المالية وسوق العطارين والحدادين والبزازين، وسوق الزجاجيات وسوق السلع البلاستيكية وسوق المواد الغذائية وسوق الألبسة وسوق الاكسسورات ولوازم الخياطة وسوق الأحذية وبعض المطاعم، وهذه الأسواق مسقوفة وان بعضها قد أعيد بناؤها على الطراز الحديث من حيث الشكل ومواد البناء بعد أن كانت صغيرة الحجم ومبنية بمواد الجص والحجر وذات شكل قبابي (العقدة) يشبه سقف الغرفة في البيت الموصلي التقليدي. ويتسم هذا السوق بالتخصص السلعي وكثرة مرتاديه بسبب رخص أسعار بضاعته وتوفر معظم السلع المطلوبة، ويعود السبب في ذلك إلى تواجد كبار التجار الموصليين المستوردين للبضائع والسلع.

أما **سوق السرجخانة** فيعرف عنه انه سوق النساء، فهو يبيع الألبسة والأحذية النسائية وكل ما تحتاجه النساء. ويبدأ من نهاية سوق الميدان ويمتد بامتداد شارع نينوى وينحرف باتجاه مدخل شارع خالد بن الوليد الذي يختص ببيع التجهيزات الكهربائية ولوازمها وينتهي عنده. وتعرض هذا السوق إلى التحول الواضح في بنائه ووظيفته، فبعد أن كان يختص في السابق بعمل سراج الخيل ويتضح ذلك من تسميته، أصبح ألان يتصف بحداثة البناء وله ديكورات دعائية جميلة، وهو ما جعله يأخذ صفة العصرية في طرازه العمراني. ويتميز بكثرة قيسرياته ذات التخصص الدقيق، ونرى منها تختص ببيع الجلباب النسائي وأخرى للملابس الداخلية والنوم وغيرها لبيع العطور ومنها خاصة بملابس الأطفال وأخرى لبيع لوازم الخياطة وغيرها.

هناك سوقا قد أزيلت وبنيت مكانها أسواقا أخرى، مثل سوق **القتابين** وسوق **الدواب** وسوق **البيض**، في حين حافظت أخرى على موقعها ولكن تغير طرازه العمراني، منها سوق القصابين وسوق الميدان، بينما استمرت أسواقا أخرى بتخصصها الوظيفي وموقعها وطرزها العمرانية القديمة، مثل سوق **الحدادين والصفارين (سوق الفافون)**. وهناك سوق ظلت على تسميته السابقة ولكن تغير تخصصها مثل سوق **الشعارين وشهر سوق (جهار سوك)**.

أولا : السوق الجديد..

بعد نمو المدينة سكانيا واتساعها جغرافيا، ظهرت أسواق جديدة سميت باسم الحي السكني الذي تقع فيه، مثل سوق **المجموعة الثقافية** وسوق **موصل الجديدة وسوق الزهور** (تقاطع سيدتي الجميلة) وسوق النبي يونس (عليه السلام) وسوق الدركزلية الذي يسمى بشارع الزهور. وفيما يتعلق بسوق المجموعة الثقافية، فإنه قد مر بعدة مراحل متغيرة بعد أن كان عبارة عن عدد

من دكاكين المواد الغذائية وبعض المطاعم ومكاتب الاستنساخ وعدداً من الكافتريات والمقاهي ومخبز واحد أو اثنين ، نراه شهد نقلة وتحولاً في الشكل والطراز العمراني والتخصص السلعي. ويتجلى ذلك في الحداثة بالبناء واستخدام الديكورات الغربية ووجود القيسريات في عماراته. وتخصص السوق ببيع وشراء الأجهزة المتطورة والحديثة كالحاسوب وقطع غياره والهاتف النقال ببيعه وشرائه وصيانته، ويتجلى هذا في انتشار الكثير من مقاهي الانترنت والتي امتدت إلى داخل الشوارع الفرعية باتجاه الأحياء السكنية. فضلا عن محلات بيع الألبسة والمطاعم ذات الطراز العمراني الحديث. ويتسم السوق بارتفاع أسعار السلع وبدلات الإيجار للمكاتب والمحلات التجارية والشقق والمساكن. ويشهد حركة ونشاطاً تجارياً مستمراً ولوقت متأخر مقارنة ببقية الأسواق في المناطق الأخرى، ويمكن أن يعود السبب في ذلك إلى وجود جامعة الموصل على امتداده وان معظم ساكنيه من الشرائح المرتفعة الدخل ، فضلا عن انه يعد من المناطق الآمنة نسبيا قياساً إلى المناطق الأخرى في المدينة. وعموما يمكن أن يمثل السوق صورة حضارية لمدينة الموصل.

أما سوق **الزهور** فانه يشبه سوق المجموعة الثقافية من حيث ارتفاع أسعار سلعه وبدلات إيجار محلاته التجارية وحداثة الطراز العمراني لمتاجره ومطاعمه.

بينما نجد سوق **الدركزلية** على الرغم من انه يضم الكثير من المحلات التجارية، إلا انه يتسم بعدم التخصص باستثناء متاجره التي تقع بالقرب من حي الجزائر والتي تتخصص ببيع الأجهزة الكهربائية والمنزلية.

أما سوق **النبي يونس** (عليه السلام) فيمثل السوق الرئيسي في الجانب الأيسر من المدينة. وهو سوق متكامل الوظائف لأنه يضم دكاكين ذات سلع متنوعة التخصص، منها الصاغة والقصابين والبزازين والخاصة ببيع الألبسة والإكسسوارات والمواد الغذائية والمطاعم والمقاهي والصيدليات، وعلى الرغم من أن طرازه العمراني الحديث إلا انه يطغي عليه صفة عدم التخصص والعشوائية في عرض وترتيب وتنظيم السلع المباعة. ويغلب على زائريه من المتبضعين أنهم من ساكني الجانب الأيسر لسهولة وصولهم إليه وقربه من مناطق سكناهم نظرا لصعوبة عبور الجسور وانقطاعها أحيانا وتوفر معظم البضائع المطلوبة على عكس سوق باب السراي فإنهم من ساكني الجانبين، فضلا عن أبناء الريف المحيط بالمدينة.

أما فيما يتعلق بسوق منطقة **موصل الجديدة**، فإن دكاكينه تتوزع على بيع السلع التي تسد الاحتياجات اليومية وتكون بشكل متداخل ومتجاور لمختلف

التخصصات، ويتسم بالعشوائية وعدم التخصص. ويعود السبب إلى انه يقع في منطقة سكنية في أطراف المدينة وبالتالي فإن توفير الاحتياجات اليومية للساكنين قد غلب على التنظيم المكاني، وان معظم المتبضعين تغلب عليهم الخلفية الريفية ويظهر ذلك في نوع البضاعة وطراز الدكاكين العمرانية.

أما سوق **الدواسة** فيعد من الأسواق المميزة بتخصصها وطرازها، وهو السوق الرئيسي للبضائع الرجالية. ويمثل احد الشوارع العصرية في المدينة بديكورات متاجره الراقية و مواد بنائها التي اغلبها من المرمر الأجنبي المستورد والسيراميك والزجاج المظلل. ويعد من أجمل الأسواق من حيث عرضه للبضاعة وتصميمه وانتظام محلاته التجارية. ويشهد حركة ونشاطاً تجارياً كبيراً، إلا انه تأثر كثيراً بانتشار مظاهر التسلح، لوجود مديرية شرطة المدينة في منتصفه ومركز شرطة الدواسة في شارعه الخلفي الذي يطل على مطاعم الدواسة خارج، فضلا عن وجود بناية محافظة نينوى في مدخله. وهذه المراكز كانت قبل الاحتلال من عوامل نشاطه لكونها من أسباب استتباب الأمن، فأصبحت بعد الاحتلال من عوامل ركود حركته التجارية، لحدوث التفجيرات المتكررة فيه. وأدى هذا إلى خلو السوق من المتبضعين بوقت مبكر، وعلى الأغلب بعد الظهر بقليل.

وعلى الرغم من طغيان الحداثة على حساب الظاهرة الموروثة للمهن والحرف إلا أن البصمة الإسلامية تظهر بوضوح في مركز المدينة. لأن السوق الموصلي يتسم بأنه مزيج ما بين الحداثة والأصالة، ويتجلى ذلك في سيادة الطراز العمراني الإسلامي في مركز المدينة والذي يعكس طراز المدينة الموصلية القديمة بالشكل والحجم ومواد البناء وضيق الأزقة السوقية، ويظهر ذلك في سوق باب السراي. في حين أن مواكبة تغيرات العصر تظهر بوضوح في السوق الجديد من حيث التصميم والعرض والتنظيم ومواد البناء وكبر الحجم مع انتشار التقنيات لاسيما في سوق المجموعة الثقافية وسوق الزهور وسوق الدواسة.

النتائج والتوصيات

النتائج..

١- إن مدينة الموصل تعد من المدن التي تشهد حركة تجارية واسعة.
٢- أنها تضم العديد من الأسواق المختلفة والمتنوعة.
٣- إن سوقها يشهد نقلات وتحولات سواء في بنائه أم وظيفته.
٤- إن السوق فيها يتجه إلى النمو والاتساع بشكل يواكب تغيرات العصر وما يشهده من غزو تقني.

٥- إن سوقها يمكنه أن يسد معظم احتياجات أبناء المدينة.

التوصيات..

١- الاهتمام بالجانب الخدمي للمدينة لاسيما التنظيف ليظهر سوق المدينة لائقاً بأبنائها.

٢- وضع قيود على الاستخدام التجاري للمكان للمحافظة على الإرث الحضاري للمدينة.

٣- فسح المجال للتجار لاستيراد البضائع من الخارج لسد احتياجات الأفراد اليومية لاسيما في هذا الظرف الصعب وفي ظل الاحتلال.

٤- التأكيد على المؤسسات الحكومية بمنع استيراد البضائع الرديئة في ظل تغليب الربح الفردي على المصلحة العامة.

الهوامش :

(١) بدوي، احمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت (لبنان)، ١٩٨٢،ص٩٣.

(٢) مدكور، إبراهيم، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥، ص٣٢٣.

(٣) عثمان، محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٨، ص٢٥٢.

(٤) الساعاتي، سامية، الثقافة والشخصية، مركز الكتب الثقافية، ط٢، مصر ، ١٩٨٣ ص٨٣.

(٥) غيث، محمد عاطف، علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية (مصر)، ١٩٨٤، ص٢٨٢.

(٦) المكتبة الافتراضية، Shichen Fan , sociological contemplation on the preparation and implementation of urban planning in china , 2011.

(٧) غيث، محمد عاطف، المصدر السابق، ص٢٨٣.

(٨) النوري، قيس، مدارس الانثروبولوجيا، مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٩١، ص٨٥.

(٩) ينظر المصدر نفسه، ص٨٣.

(١٠) الساعاتي، سامية، المصدر السابق، ص٨٢.

(١١) سليم، شاكر مصطفى، قاموس الانثروبولوجيا، جامعة الكويت، الكويت، ١٩٨١، ص٢٣٣.

(١٢) عمر، معن خليل، التغير الاجتماعي، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٤، ص١٠٣.

(١٣) السامرائي، خليل إبراهيم، وثائر حامد محمد، المظاهر الحضرية للمدينة المنورة، منشورات مكتبة بسام، الموصل (العراق)،١٩٨٤، ص٦٥.

(١٤) مدكور، إبراهيم، المصدر السابق، ص٣٢٣.

(١٥) المصدر نفسه، ص٣٢٣.
(١٦) عثمان، محمد عبد الستار، المصدر السابق ، ص١٧٨.
(١٧) المكتبة الافتراضية، محمد موصلي، التمثيل الرمزي الجزئي للمواقع السكنية في مدينة جدة، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، العدد ١، ١٩٩٩.
(١٨) عثمان، محمد عبد الستار، المصدر السابق، ص٢٥٦.
(١٩) مدكور، إبراهيم، المصدر السابق، ص٣٢٤.
(٢٠) عثمان، محمد عبد الستار، المصدر السابق، ص٢٥٢.
(٢١) المصدر نفسه، ص٢٥٣.
(٢٢) الديوه جي، سعيد، تاريخ الموصل، ج١، الموصل، ١٩٧٥، ص١١.
(٢٣) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٥، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت،١٩٥٧، ص٢٢٣.
(٢٤) رؤوف، عماد عبد السلام، الموصل في العهد العثماني، مطبعة الآداب، النجف الشرف، العراق، ١٩٧٥، ص٢٩٣.
(٢٥) الديوه جي، تاريخ الموصل، ج١، المصدر السابق، ص٢٩٦.
(٢٦) المصدر نفسه، ص٢٩٥.
(٢٧) المصدر نفسه، ص٢٢٥.
(٢٨) انظر سيوفي ، نقولا، مجموع الكتابات المحررة في أبنية مدينة الموصل مطبعة شفيق، بغداد،١٩٥٦، ص١٠-١٣٢.. والديوه جي، سعيد، تاريخ الموصل،ج٢،دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ٢٠٠١، ص٢٩٤.
(٢٩) الديوه جي، تاريخ الموصل،ج٢، المصدر السابق، ص٥٦-١٣٤.
* القتب..هو أكاف البعير، وهو الاكاف الصغير الذي على قدر سنام البعير وهو كذلك رحل صغير على قدر السنام " ينظر ابن منظور، لسان العرب، ج٢، مطبعة بولاق، مصر، ص١٥٣-١٥٤.
(٣٠) المصدر نفسه، ص٢٩٤-٢٩٦.
(٣١) انظر سيوفي، نقولا، المصدر السابق، ص١٠-١٣٤.. والديوه جي، تاريخ الموصل،ج٢، المصدر السابق، ص٢٩٤-٢٩٦.
(٣٢) الديوه جي، تاريخ الموصل، ج١، المصدر السابق، ص٢٢٦.
(٣٣) عثمان، محمد عبد الستار، المصدر السابق، ص٢٥٦.
(٣٤) المصدر نفسه، ص٢٥٨.
(٣٥) ينظر المصدر نفسه، ص٢٥٩.
(٣٦) المصدر نفسه، ص٣٦٠.
(٣٧) المصدر نفسه، ص٢٢٦.
(٣٨) السلمان، عبد الماجود، الموصل في العهدين الراشدي والأموي، منشورات مكتبة بسام، الموصل، ١٩٨٥، ص٧٧.
(٣٩) المصدر نفسه، ص٧٧.
(٤٠) رؤوف، عماد عبد السلام، المصدر السابق، ص٤٥٥.
(٤١) الديوه جي، تاريخ الموصل، ج٢، المصدر السابق، ص٢٩٦.

(٤٢) الازدي، الشيخ أبي زكريا، تاريخ الموصل، ج٢، تحقيق الدكتور علي حبيبة، لجنة إحياء التراث، القاهرة، ١٩٦٧، ص١٥٢–١٦٧.
(٤٣) الديوه جي، تاريخ الموصل، ج٢، المصدر السابق، ص٢٩٥.
(٤٤) المصدر نفسه، ص٢٩٥.
* تلفظ بالموصلي مداغ.. وهو ضرب من طواحين الحبوب.
(٤٥) الديوه جي، تاريخ الموصل، ج٢، المصدر السابق، ص٢٩٥.
* احد أبواب المدينة المستحدثة فتحة الحاج حسين باشا الجليلي بأمر من السلطان مصطفى خان العثماني، ويقع بين جامع باب الطوب وسوق القصابين(انظر سيوفي، المصدر السابق، ص١٣٢).
(٤٦) رؤوف، عماد عبد السلام، المصدر السابق، ص٤٥٣.
(٤٧) الصوفي، احمد، خطط الموصل، ج٢، مطبعة الاتحاد الجديدة، الموصل(العراق)، ١٩٥٣، ص٢٩.
(٤٨) الجنابي، هاشم خضير، مدينة دهوك، مديرية مطبعة الجامعة، الموصل (العراق)، ١٩٨٠، ص٥١.

الصور :

الخان

المفروشات

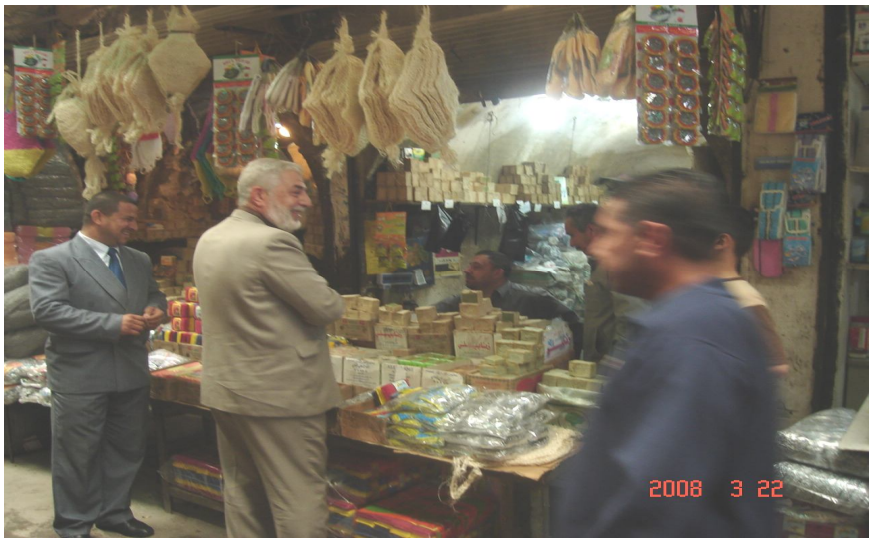

باب السراي

السوق القديم

الحدادين

المفروشات

العطارين

بيع الأحذية

مخازن

شارع النجيفي

باب الطوب